على خلفية ظاهرتين بارزتين : القومية والاستعمار ، وكلتاهما من نتاج تطور الرأسمالية الاوروبية . وعلى اطراف هاتين الظاهرتين نمت الصهيونية ، وفي سياق الزحف الاوروبي في ذلك العصر راحت تبني حركة سياسية على اساس قومي ــ حضاري ، مما انتهى بها الى ان حل المسألة اليهودية لا يتم الا باقامة دولة قومية خاصة باليهود . واما السبيل الى ذلك فقد جاء متفقا مع النهج السائد في اوروبا آنذاك ــ الاستيطان في البلدان غير النامية . وكان طبيعيا ان يتأثر الفكر الصهيوني السياسي بالتراث اليهودي ، كونه في اساسه قوميا ــ حضاريا يؤكد اهمية الظواهر الحضارية في تكوين قومية الجماعة البشرية التي يسعى الى حشدها في الحركة السياسية المعبرة عنه . والواضح ان الصهيونية اخذت الكثير من التراث الديني اليهودي ، وحاولت ان تصبه في قالب علماني . واذا كان الفكر القومي ــ الحضاري هو القوة الدافعة وراء فكرة اقامة الدولة اليهودية ، وكان الاستيطان هو السبيل الوحيد المتاح لتجسيد هذه الفكرة ، فالاكيد ان الاثر الديني في تلك الحركة السياسية ، التي اظهرت العلمانية ، كان العامل الحاسم في تحديد المكان واصطفاء فلسطين بالذات لذلك الغرض .

ويزخر التراث الديني اليهودي بالاشارات الى « الارض المقدسة » . ونشأ في اليهودية على مر العصور ، وخاصة في ما اصطلح على تسميته « بالشتات اليهودي » ،وذلك بعد خراب الهيكل الثاني وتشتت اليهود ، نوع من « لاهوت الارض المقدسة » ، يربط بين الله وشعبه المختار وارضه المقدسة . فما دام الشعب مختارا ، فكذا هي رقعة الارض التي اصطفاها الله لتكون « ارض الميعاد » لشعبه . ومن هنا فالتراث اليهودي يميز هذه الارض عن غيرها من بقاع العالم ، وهو لا يتحدث عنها الا بافعل التفضيل وصيغ المبالغة . وقد احيا الفكر الصهيوني ثالوث اليهودية القديمة: وحدة الله بالشعب بالارض . فانعكس ذلك في ما خصت به الصهيونية اسرائيل من موقع مركزي في حياة اليهود حيثما كانوا ، وما اولته من اهمية لعملية « افتداء الارض » اثناء تجسيد المشروع الصهيوني وفي الممارسة العملية للكيان الذي انبثق عنه .

ويقول الاستاذ عبد الوهاب المسيري ، في **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** ، ص ٦٦ ، ما يلي : « وارتباط الدين هذا الارتباط الكامل بالارض هو تعبير آخر عن هذا النمط البنيوي الذي نلاحظه في اليهودية وهو ارتباط المطلق (الدين) بالنسبي (المكان) الامر الذي يجعل التسامي والجدل مستحيلين . والتاريخ اليهودي حسب التصورات التقليدية والصهيونية ان هو الا تعبير عن الارتباط بالارض ، وهو ارتباط في الواقع يربط بين التاريخ الحي والجغرافيا الثابتة ، مما يؤدي الى الغاء وجود اليهود التاريخي خارج فلسطين (باعتبار انه وجود « خارج » الارض وبالتالي خارج التاريخ) كما انه يلغي تاريخ الارض نفسها (باعتبار انها « مكان » مطلق معقم من الزمان خاو على عروشه ينتظر ساكنيه الازليين المقدسين) » .

ولقد احاط الادب الحاخامي الارض بهالة من القدسية ، واغدق عليها صفات المبالغة بحيث جعل امكان اقامة الشعائر الدينية كاملة مستحيلا خارجها .ويقول المسيري :«وتعاليم التوراة لا يمكن ان تنفذ كاملة الا في الارض ولا يمكن ليهودي ان يتنبأ الا وهو فيها وحتى جوها يجعل الانسان حكيما . وقد اصبحت السكنى في الارض بمثابة الايمان لان من يعيش داخل ارض اسرائيل يمكن اعتباره مؤمنا اما